

الدعاء سلاح المؤمن

الدعاء ليس سلاح الضعفاء كما يتوهم البعض ، الدعاء سلاح الأقوياء الآخذين بالأسباب ، المؤمنين بأن الأسباب لا تؤدي إلى النتائج بطبيعتها ، إنما برحمة الله تعالى وعونه وسداده وإرادته وتوفيقه ، يقول الحق سبحانه: "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" (غافر: ٦٠) ، ويقول سبحانه: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (البقرة: ١٨٦). ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ يَعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوْرِ مِثْلَهَا). قَالُوا : إِذَا نُكِّرُ . قَالَ : (الله أَكْثَرُ)" (مسند أحمد) ، وسمع نبينا (صلى الله عليه وسلم) رجلا يقول : اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " لَقَدْ سَأَلْتَ اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ " (مسند أحمد والبخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ : إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ " (المستدرک للحاكم).

وقال أحد الحكماء : عجبت لمن ابتلي بالمرض كيف يغفل عن دعوة أيوب (عليه السلام) : " أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " ؟ (الأنبياء : ٨٣) ، ومن ابتلي بالضيق كيف يغفل عن دعوة يونس (عليه السلام) " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " ؟ (الأنبياء : ٨٧) ، وعجبت لمن ابتلي بخوف كيف يغفل عن قول الله (عز وجل) : " حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " ؟ (آل عمران :

(١٧٣) ، وعجبت لمن ابثلي بمكر الناس كيف يغفل عن قوله تعالى: " وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ "؟ (غافر: ٤٤).

وهذه دعوة إبراهيم (عليه السلام) لولده نرى بركتها إلى يوم القيامة ، حيث دعا ربه (عز وجل) فقال: " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " (إبراهيم: ٣٧) ، وحيث دعا ربه (عز وجل) فقال: " رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " (إبراهيم: ٣٥) ، وقال: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " (البقرة: ١٢٦) ، فاستجاب له ربه فجعل البلد آمنا والحرم آمنا والقلوب تهوي إليه من كل حذب وصوب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذا نبي الله يوسف (عليه السلام) يدعو ربه فيقول: " رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ " (يوسف: ٣٣) ، فيستجيب الله تعالى له: " فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (يوسف: ٣٤) .
وهذا نبي الله أيوب (عليه السلام) يدعو ربه فيقول: " أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " (الأنبياء: ٨٣) ، فتأتيه الإجابة: " فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ " (الأنبياء: ٨٤) .

وهذا نبي الله زكريا (عليه السلام) يدعو ربه فيقول: " رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤١﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ

وَرَأَى وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبَّ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ
ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا " (مريم: ٤-٦)، فيستجيب له ربه (عز وجل)
فيقول: "فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ رِيحًا حَيًّا وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوْجًا وَآتَيْنَاهُمْ كَانُوا
يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ "
(الأنبياء : ٩٠).

فما أحوجنا إلى الدعاء المصحوب بالأمل لا باليأس ، ولا بالإحباط ، ولا بالقنوط من
رحمة الله (عز وجل) ، وإذا أردنا استجابة للدعاء فإن لذلك شروطاً وآداباً ، من أهمها :
الإيمان ، وحسن الظن بالله تعالى، وطيب المطعم والمشرب والملبس ، فلما سأل سيدنا سعد
بن أبي وقاصٍ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي
مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، قَالَ لَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " يَا سَعْدُ أَطِيبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ
الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْدِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَإِنَّمَا عَبْدٌ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرَّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ " (المعجم الأوسط
للطبراني) .